بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ ١٤ رَمَضَانَ ١٤٤٦هـ

عِبَادَ اللهِ: فِي رَمَضَانَ تَخْرُجُ النُّفُوسُ مِنْ رِقِّ الْغَفْلَةِ، وَوِفَاقِ الْكَسَلِ وَالْفَتْرَةِ إِلَىٰ فَضَاءِ الْعِبَادَةِ وَرَبِيعِ الطَّاعَةِ؛ فَالْأَلْسُنُ ضَارِعَةٌ، وَالْعُيُونُ دَامِعَةٌ، وَالْقُلُوبُ مُخْبِتَةٌ، وَالنُّفُوسُ مُقْبِلَةٌ، وَلِلْعِبَادَةِ لَذَّةٌ، وَلَهَا فِي النَّفْسِ بَهْجَةٌ، وَفِي الْعُمُرِ وَالرِّزْقِ بَرَكَةٌ، وَأَمَّا لَذَّةُ التَّهَجُّدِ، وَالْمُنَاجَاةِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَهِيَ اللَّذَّةُ الَّتِي تَتَقَاصَرُ دُونَهَا مَلَذَّاتُ الدُّنْيَا، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ مَرَّةً: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَقَالَ مَرَّةً: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ».

وَعُيُونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ مِثْلَ انْهِمَالِ الْوَابِلِ الْهَطَّالِ

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ حَتَّىٰ انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا هِيَ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ قَدْ دَنَتْ، وَأَعْظَمُ لَيَالِي الْإِدْلَاجِ وَالسَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاغْتَنِمُوا فُرْصَتَهَا، وَاعْمُرُوهَا بِالتَّهَجُّدِ وَالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ وَالتِّلَاوَةِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ

الْمِئْزَرَ. وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِمَّا كَانَ يَحْرِصُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ: الِاعْتِكَافُ فِي الْمَسْجِدِ؛ تَفَرُّغًا لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَتَحَرِّيًا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَالِاعْتِكَافُ فِي رَمَضَانَ سُنَّةٌ فِعْلِيَّةٌ، فَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَاعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَسْنُونٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الِاعْتِكَافُ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ، وَهُوَ أَنْ يَلْزَمَ مَسْجِدًا لِطَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي أَسْبَابِ إِنْزَالِ اللهِ نَصْرَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيَجِدُ أَنَّهُ فَضْلٌ مِنَ اللهِ أَفَاضَهُ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ؛ حِينَ انْتَصَرُوا عَلَىٰ نُفُوسِهِمْ، فَكَانُوا مُؤَهَّلِينَ لِتَنَزُّلِ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وَفِي رَمَضَانَ يَكُونُ الِانْتِصَارُ عَلَىٰ النُّفُوسِ أَقْوَىٰ مَا يَكُونُ، انْتِصَارٌ عَلَىٰ الرِّيَاءِ وَمُلَاحَظَةِ الْخَلْقِ، بِتَصْفِيَةِ الْعَمَلِ لِلْخَالِقِ، ابْتِدَاءً بِتَبْيِيتِ نِيَّةِ الصَّوْمِ.

وَانْتِصَارٌ عَلَىٰ الشَّيَاطِينِ بِالتَّصْفِيدِ، وَتَضْيِيقِ مَجَارِيهِمْ بِالصِّيَامِ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَذَا رَمَضَانُ قَدْ جَاءَكُمْ، تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُسَلْسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ».

وَانْتِصَارٌ عَلَىٰ الشَّهَوَاتِ، الَّتِي كَثِيرًا مَا يَكُونُ دَاعِيهَا الْفَرْجَ وَالْبَطْنَ وَاللِّسَانَ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ

لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَانْتِصَارٌ عَلَىٰ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَالْأَثَرَةِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

وَانْتِصَارٌ عَلَىٰ سُوءِ الْخُلُقِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ».

وَانْتِصَارٌ بِالِاجْتِمَاعِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَالْفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ، وَالْأَضْحَىٰ يَوْمَ تُضَحُّونَ».

وَانْتِصَارٌ بِالِاعْتِزَازِ بِالْإِسْلَامِ، وَخَلْعِ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ الْمُهِينِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَكْلَةُ السَّحَرِ».

رَمَضَانُ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ قَرِينُ النَّصْرِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

عِبَادَ اللهِ: إِمْعَانًا فِي حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَامْتِدَادًا لِعَوَائِدِ نَصْرِهِ الرَّمَضَانِيِّ، فَإِنَّا نَتَرَقَّبُ مَخَايِلَ تَنَزُّلِ النَّصْرِ فِي فِلَسْطِينَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، بِدَعَوَاتِ مَلَايِينِ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ، وَنَرْقُبُ بِعَيْنِ الْأَمَلِ أَنْ تَكُونَ فِلَسْطِينُ مَقْبَرَةً لِلْيَهُودِ، وَمَنْ عَاوَنَهُمْ.

فَانْتِصَارَاتُ رَمَضَانَ أَثْبَتَتْ أَنَّ طَرِيقَ تَنَزُّلِ النَّصْرِ الْإِلَهِيِّ الْوَحِيدِ لِلْأُمَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِانْتِصَارِهَا عَلَىٰ ذَاتِهَا، حِينَ تَسْتَقِيمُ عَلَىٰ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يَظَلُّ رَمَضَانُ أَقْوَىٰ مَحَطَّةِ تَزَوُّدٍ لِلسَّيْرِ فِيهِ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ غَلَبَتْ كَثِيرًا مِنَّا نُفُوسُهُمْ، وَأَعَاقَتْهُمْ عَنِ الصُّعُودِ بِأَرْوَاحِهِمْ إِلَىٰ خَالِقِهِمْ، وَحَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّزَوُّدِ لِأُخْرَاهُمْ، وَصَارَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي رَمَضَانَ الْيَوْمَ إِنَّمَا يُجَاهِدُونَ فِي نَيْلِ مُشْتَهَيَاتِ النُّفُوسِ، وَتَحْقِيقِ رَغَبَاتِهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَتَىٰ نَعْلَمُ أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنِ التَّغَلُّبِ عَلَىٰ سُلْطَانِ نَفْسِهِ، وَقَهْرِ هَوَاهَا، فَهُوَ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَىٰ عَدُوِّهِ الْخَارِجِيِّ مَهْمَا كَانَ ذَاكَ الْعَدُوُّ ضَعِيفًا؟! كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَاجِهَ الْعَدُوَّ سَاعَةً أَوْ يَصْمُدَ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ لَحْظَةً، مَنْ يَنَامُ عَنِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي رَمَضَانَ، وَهِيَ لَا تَتَجَاوَزُ دَقَائِقَ مَعْدُودَةً، وَفِي مَسَاجِدَ مَفْرُوشَةٍ مُهَيَّئَةٍ، وَالْجَوُّ جَمِيلٌ وَلَطِيفٌ؟! وَأَنَّىٰ لِامْرِئٍ بِالصَّبْرِ فِي مُرَابَطَةٍ فِي ثَغْرٍ مِنَ الثُّغُورِ، وَهُوَ لَمْ يُصَبِّرْ نَفْسَهُ لِأَدَاءِ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَالْقِيَامِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً أَوْ نِصْفَ سَاعَةٍ؟!

عِبَادَ اللهِ: أَيَّامُ رَمَضَانَ مَآثِرُ لِعِزِّ الْأُمَّةِ الْمَعْقُودِ، وَأَمَلِهَا الْمَنْشُودِ. وَيَشْهَدُ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ الْمَجِيدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَأَنَّ عَدَدًا مِنْ تِلْكَ الْفُتُوحِ الَّتِي فَرَّقَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

فَفِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ ثَانِي سِنِيِّ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فَرَضَ اللهُ الْجِهَادَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ مَعَ افْتِرَاضِ شَعِيرَةِ الصِّيَامِ، فَكَانَ رَمَضَانُ مَوْسِمَ نَصْرٍ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ امْتِدَادِ التَّارِيخِ، حِينَ شَهِدَتْ أَيَّامُهُ الْخَالِدَةُ مَعَارِكَ خَاضَهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ الْأَعْدَاءِ عَلَىٰ تَنَوُّعِ دِيَانَاتِهِمْ، وَاخْتِلَافِ أَقْطَارِهِمْ، وَتَفَاوُتِ عَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، أَكْرَمَ اللهُ فِيهَا أَوْلِيَاءَهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَوَاقِعُ الرَّمَضَانِيَّةُ فَيْصَلًا فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ، وَنُقْطَةَ تَحَوُّلٍ فِي مَسِيرَتِهَا وَاتِّسَاعِ رُقْعَتِهَا، وَشَامَةً فِي جَبِينِ عِزِّهَا وَهَامَةِ هَيْبَتِهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَعْوَانِهِمْ يَتَرَبَّصُونَ بِبِلَادِنَا سُوءًا، فَالْتَفُّوا رَحِمَكُمُ اللهُ حَوْلَ وُلَاةِ أُمُورِكُمْ، وَاحْذَرُوا الْمُغْرِضِينَ وَالْأَعْدَاءَ مِنَ الدَّاخِلِ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِتَفْرِيقِ الشَّمْلِ، وَتَمْزِيقِ الْجَمْعِ، رَدَّ اللهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَحَفِظَ بِلَادَنَا، وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ وَخُبْثِهِمْ.